رضي الله عنه وقال يحيى بن معاذ رحمه الله الهي احلى العطايا في قلبي رجاوك واعذب الكلام
على لساني ثناوك واحب الساعات الي ساعة يكون فيها لقاوك قال الشارح رضي الله عنه
فاخبر ان احلى العطايا واطيبها والذها له خلوص الرجا في قلبه لما يجدده عليه من فضله وذلك
ان العطا لا يخلو اما ان يكون يترتب عليه شي او لا يترتب فاذا لم يترتب عليه غيره اقتصر
نفعه عليه وان كان نعمة ومتى كانت النعمة اذا من عليه العبد بها حصل بسببها خير اخر
مترتب عليها بالشكر فان العبد اذا من عليه بالشكر على النعم تزايد فضل الله تعالى عليه اذا شكر
لقول تعالى لين شكرتم لازيدنكم وكذلك الرجا الصحيح انما يكون على الاعمال فاذا من الله على العبد بالعمل
وخلوص له الرجا الصحيح حصل له المرجو وهذا موضع الاستشهاد في الباب وبقية كلامه
رضي الله عنه يدل على خير اخر ان اعذب الكلام على لساني الوقت الذي يكون كلامي ثنا عليك
هذا يدل على كمال محبته لمولاه وانه يتنعم بذكر صفاته وجميل احسانه اذا ذكر ذلك او تلاه
وكذلك قوله واحب الساعات الي ساعة يكون فيها لقاوك يحتمل حضوره في الدنيا فانها
بالنسبة الى اوقات غفلته او اشتغاله بغير مولاه محبوبة لما فيها من الخير ومراقبة الله سبحانه
واستشعار نظره اليه ودوام الادب في وقت استشعاره لذلك فهذه كلها صفات محمودة
ذكرها المولاه وعدد فضله عليه بقلبه ولسانه ورجاوه دعابه قال الامام رضي الله عنه وفي
بعض التفاسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على اصحابه من باب بني شيبة فراهم يضحكون
فقال اتضحكون لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم مر ثم رجع القهقرى وقال
نزل علي جبريل واتى بقوله نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم قال الشارح رضي الله عنه
وهذا يدل ايضا على سعة رحمة الله تعالى وهو دليل ان رجا العفو عما يكون للانسان فيه
من البسط والكلام ونقاوته الصغاير من غلط اللسان فان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل على
الصحابه وجدهم يضحكون وينبسطون فذكرهم امر الاخرة وخوفهم بالله تعالى بقوله لو تعلمون
ما اعلم لبكيتم واذا ذالحق سبحانه ان يعلمه سعة رحمته وكمال تجاوزه عن خلقه وانه
لا يكلفهم ان يكونوا معه في حال التعظيم والاجلال وذكر الثواب والعقاب في ساير الاوقات
لصعوبة ذلك عليهم ومشقته واذا كان تعالى يتجاوز عن السيات المحرمات فكيف بالغفلات
والاشتغال بكثير من المباحات قال الامام رضي الله عنه انا ابو الحسن علي بن احمد
الاهوازي ثنا ابو الحسن الصفار ثنا عباس بن تميم ثنا يحيى بن ايوب ثنا مسلم بن سالم
ثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن اسلم عن عطا بن يسار عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى ليضحك من ياس العباد وقنوطهم وقرب
الرحمة منهم فقلت بابي وامي يا رسول الله او يضحك ربنا عز وجل قال والذي نفسي بيده انه
ليضحك فقالت لا يعدم منا خيرا اذا ضحك واعلم ان الضحك في وصفه تعالى صفات تعقله وهو اظهار

كما يقال ضحكت الارض بالنبات وضحكه من قنوطهم اظهار تحقيق فضله الذي هو ضعف انتظارهم
له قال الشارح رضي الله عنه اصل هذا الباب الذي يظهر معناه ويبينه ان الحق سبحانه
لا يتضرر بمعاصينا ولا ينتفع بطاعتنا ممن اطاعه فبركة الطاعة عايدة اليه ومن عصاه فشوم
معصيته راجع عليه فاذا تحقق العبد ذلك علم ان الله تعالى انما منعه مما يضره في دنياه
واخرته فاذا زل وندم على زلته فياسه من رحمته وقنوطه من عفوه ورحمته دليل
على جهله وقلة معرفته فبهذا الاعتبار يضحك سبحانه وتعالى ممن ياس او يقنط لانه اتى
بشي عجيب عند نفسه وذلك غفلته عن سعة رحمته او جهله واعتقاده ان مخالفته
توبه يرجع اليه تعالى منها شي تعالى وتقدس عن الضرر والانتفاع بشي من افعال خليقته ويكون
ضحكه تعالى مقابله لهذا العبد بضرحا لتنبيه فانه اذا ايس من رحمته اسبغها عليه ولا سيما
اذا كان ذلك بعد توبته لان الضحك كما قرره من الله سبحانه راجع الى بسط رحمته وظهور فضله
ورحمته كما يقال ضحكت الارض اذا اخرجت ما فيها من الخير والنبات وضحكت المراه اذا حاضت
والضحك ليس مخصوصا بالضحك المعتاد من العباد بل له معان يطلق على الله تعالى منها ما يليق
بجلاله وكرمه اذا اطلق ذلك على نفسه قال الامام رضي الله عنه وقيل ان مجوسيا استضاف
ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله عز وجل الى ابراهيم
يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه نحن منذ سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة
ماذا عليك فمر ابراهيم عليه السلام خلف المجوسي واضافه فقال له المجوسي اهكذا
يعاملني ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم قال الشارح رضي الله عنه في هذه الحكاية دليل
الله اشار الى ان الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ولذلك بسطها لاعدايه ولم يكن
ذلك دليلا على كرامتهم عنده ولكن لسعة رحمته الدنيوية يعم الكافر والمسلم كما ان تعالى
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وجعل الله تعالى كون هذا
المجوسي استضاف ابراهيم الخليل صلوات الله على نبينا وعليه سببا لمعرفته المجوسي
سعة رحمة الله تعالى وكمال كرمه على اعدايه حتى عاتب نبيه وخليله في كونه
لم يطعم عدوه ومن هذه الجهة قلنا ان الدنيا واسباغها على الخلق ليس كرامة الا لمن
جعلها الله تعالى عونا له على طاعته فلما لم يضيفه وذهب اوحى الله تعالى اليه ما ذكره
وتبعه ابراهيم ورده واضافه فساله المجوسي عن السبب فاخبره فوجد من ذلك العجب
ففي بعض الروايه نعم الرب رب يعاتب نبيه في عدوه اعرض علي الاسلام فاسلم
ووجه تعلق هذا بالرجا ان الله تعالى يجعل الاسباب الضعيفه موصله للغفران
الذنوب العظيمه قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول
راى الاستاذ ابو سهل الصعلوكي رحمه الله ابا سهل الزجاج في المنام وكان يقول بالوعيد

Copyright © King Saud University